سلسلة
حكايات
السمر
١٧

زكريّا كايا

الأميرُ وابنُ النبيل



٢٣

دارُ الجيل
بيروت - القاهرة

سلسلة
حكايات
السمر
(١٧)

الأميرُ وابنُ النبيل

تأليف ورسوم
زكريّا كايا

دارُ الجيل
بيروت - القاهرة

الأميرُ وآبنُ النّبيل

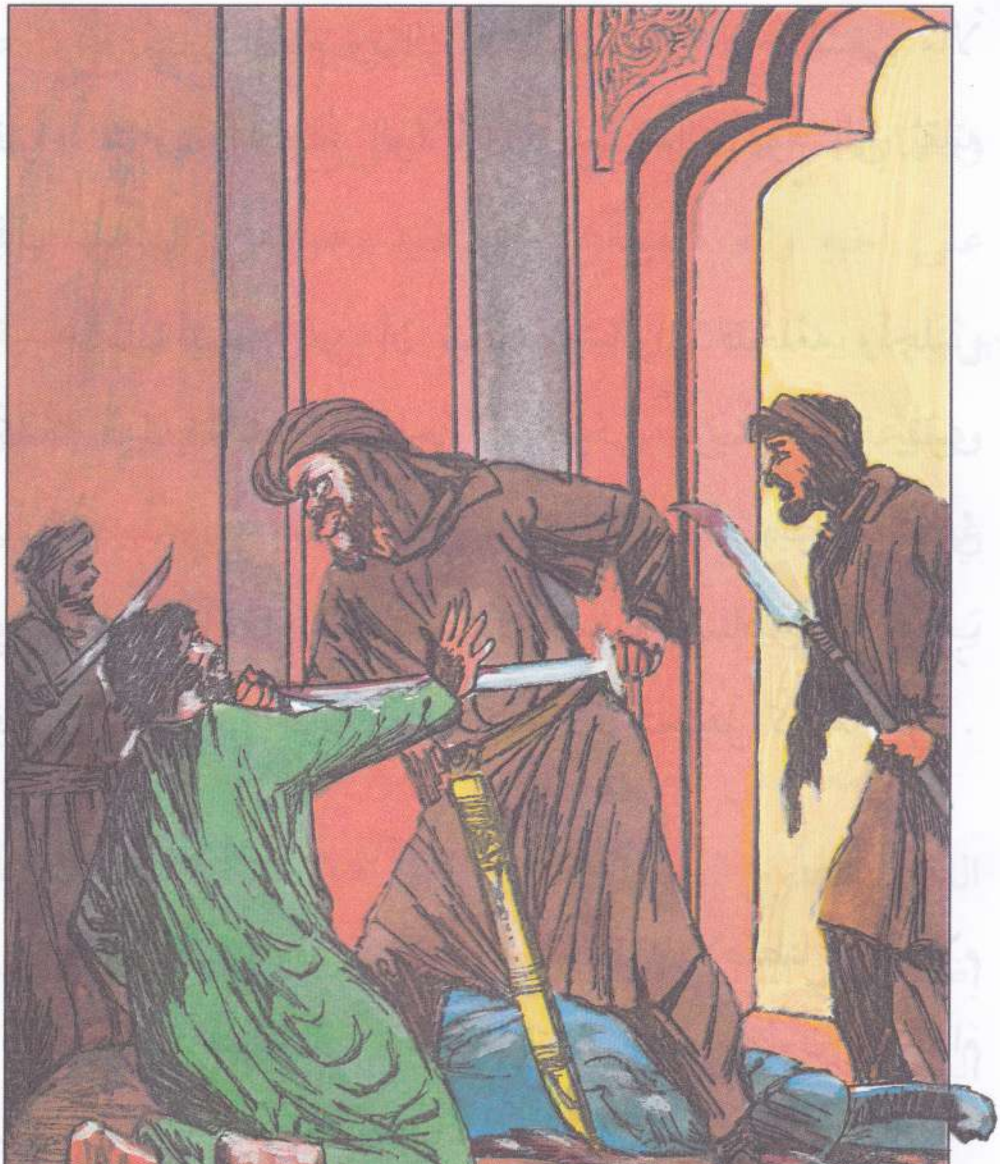
في قديمِ الزمانِ، وسَالفِ العَصرِ والأوانَ، حَدَثَ ذاتَ مرةٍ أن رَسَمَ أحَدُ الخُلَفاءِ العبَّاسَيِّينَ الضُعَفَاءِ الذين لا **يَفْقَهُونَ** مِن أمُورِ السِياسَةِ وَالإدَارَةِ شَيئاً، على إمَارَةِ البصرَةِ أخوَيْنِ: الأوَّلَ وَاليًا، والثاني صَاحِباً للشرطة، دون أن يُفَكِّرَ في عَاقِبَةِ ذلكَ الأمرِ.

كانَ الرَجُلُ الذي عُيِّنَ وَالياً، شَهْماً رَصِيناً وَنَبيلاً، يَحرِصُ على إقامَةِ العَدْلِ ويَسعَى إلى فَرْضِ الهَيبةِ إلى جَانبِ تَحسِينِ أَحوالِ الناسِ المَعيشيَّةِ، وكانَ مِثالاً للاستقامَةِ والأمَانة. انتزَعَ محبَّةَ البَصرِيِّينَ وتَمَكَّنَ مِن قُلُوبِهِم. **فاصطَفَى** حَاشِيَتَه من كِرَام وُجُوهِ البَلَدِ، وكانَتْ مَجَالِسُهُ في النَهارِ تَضُمُّ العُلَمَاءَ والفُقَهَاءَ وأهلَ الحِنكَةِ والحِكمَةِ يَستأنِسُ بآرائِهم؛ وأمَّا في اللَيلِ فكانَتْ مَجالسُ أُنسهِ مِن جماعةِ

المِرْبَدِ وقد كانَ مَجْمَعًا للأشرَافِ البَصرِيِّينَ من ذَوِي الطُرَفِ والنَوَادرِ والشِعرِ والأَدبِ والرِوَايَة.

وكان الرجُلُ الذي عُيِّنَ صَاحِباً للشُرطةِ على عَكسِ صُورةِ أَخيهِ الأكبرِ، فَقَدْ كان شَقِيّاً **غَاشِماً** بطَبْعِهِ، حَشَدَ مِن حَولِه عُتَاةَ المُجرِمِينَ وأَكَلَةَ الرؤوسِ وزَبَانِيةَ البَطْشِ، **وأَطْلَقَ يَدَهُم** في البَصْرَةِ ودَسَاكِرِهَا يُمْعِنونَ في انتِزَاعِ الأموَالِ مِنَ الناسِ بحقٍّ وبغيرِ وَجْهِ حَقٍّ، ويَسُومُونَهم في سَبيل ذلك سُوءَ العَذَابِ بلا **وَازِعٍ** مِن ضَمِيرٍ أو رَادِعٍ مِن سُلطانٍ؛ هَدَفُهُم تَكديسُ خَزَائنِ سيِّدِهِم، صَاحِبِ الشُرطةِ، بالأموَالِ ليفُوزُوا بِرِضَاهُ وبِمَا يَمُنُّه عَليهم من إكراميَّات.

وكانَ صَاحِبُ الشُرطةِ قد فَرَضَ إرهَاباً على النَاسِ، ومَنَعَهُم من رَفْعِ شَكْوَاهُم إلى أخِيهِ الوَالي؛ وكانَ إذا تَجَرَّأَ أَحَدٌ وَشَكَا جَوْرَهُ وظُلْمَهُ، سَلَّطَ عَليه زبانيتَهُ فَتَختَفي آثارُه وليسَ مَنْ يَسألُ عنه.



ومعَ مُرُورِ الأيامِ وتَوَالي الشُهُورِ اكتَنَزَ الأخُ الشقيُّ مالاً وفيراً، وراوَدَتْه أَطماعُ الوِلايَةِ، فَجلسَ ذاتَ يومٍ إلى ثِقاتِه وقال لهم:

- مَاذا يمنَعُنا من أن نَثِبَ عَلى الوالي فنخلَعُه وأجلِسُ مَكَانَهُ؟ فالخليفةُ **خَليعٌ** وَعَاجزٌ وهوَ رَهْنُ حَرِيمِهِ، فَلَنْ يَقْوَى أبَداً عَلَى مَدِّ وَاليهِ بمَا يُثَبِّتُهُ في منزلتِه، وَأَمَّا أَمرُ القَائدِ التُركِيِّ ذي السُلطانِ الفِعْلِيِّ فَسَهْلٌ عندي: بِضعُ صَناديقَ من ذَهَبٍ وفِضَّةٍ وأثوَابٍ من حَريرِ الهندِ تَكفي لأن يَتَجَاهَلَ كلَّ ما أَفْعَلُه.

ثم ابتسَمَ ابتسَامةً مَاكِرَةً وقال:

- عَليكُم يَتَوَقَّفُ الأمرُ؛ فاجْهَدوا **لاصطناعِ** الازلامِ والتَابعِينَ الّذين بإمكانهم حَشْدُ المُقَاتِلِينَ الذين يُتْقِنُون استخدَامَ السِلاحِ، وفي هَذِه الاثناءِ سَأُشغِلُ الوَالي ببعضِ الفِتَنِ **التَافِهةِ**، لأُغافِلَهُ عَن نَوَايَاي... وفي اليومِ الموعُودِ سَوفَ أضرِبُ ضَربَتي وستكُونُون أنتُم حَاشِيةَ ورجَالَ الوَالي الجدِيدِ، وتكونُ البصرةُ **ودساكِرُها** مُلكاً لنا نفعَلُ ما نشَاءُ...

سَارَتْ مُؤامَرَةُ صَاحِبِ الشُرطَةِ الشَيْطَانِيَّةِ بسُرعةٍ وكُتْمانٍ، وأُعِدَّتْ أَحسَنَ إعدادٍ. وفي فَجْرِ أحدِ الأيَّامِ وَثَبَ على أخيهِ وِثبَةً عظيمةً ودخَلَ عليه وهو ما يزالُ في فِراشِهِ وقَتَلَه، بينما كانَ **زَبَانِيتُه** يَفرضُون سَيطرَتَهم على البَصرةِ، وبسُرعةٍ يَتَحرَّكُون مِن مَكانٍ إلى مكانٍ، ويَقتَحِمُونَ المنازلَ على أصحَابِها ويسُوقُونَهم إلى السُجُونِ أو يَقتُلُونَهم دونَ رَحمةٍ أو شَفَقَةٍ.

وإِمعَاناً في تَحقيرِه لِلخَليفةِ وهوَ يَعلَمُ بأنَّه دُمْيَةٌ في أيدِي الحَرِيمِ **وعُلُوجِ** العَجَمِ والتُركِ، أطلَقَ له حَماماً زَاجِلاً يُعْلِمُهُ بأنَّه اضطُرَّ إلى انتزاعِ الوِلايَةِ من أخِيهِ الضَعِيفِ الذي كادَ بسِياسَتِهِ الخَرْقَاءِ أن يَتَسبَّبَ بِفتنةٍ دَموِيَّةٍ لا يَعلَمُ إلاّ اللهُ مَدَاها...

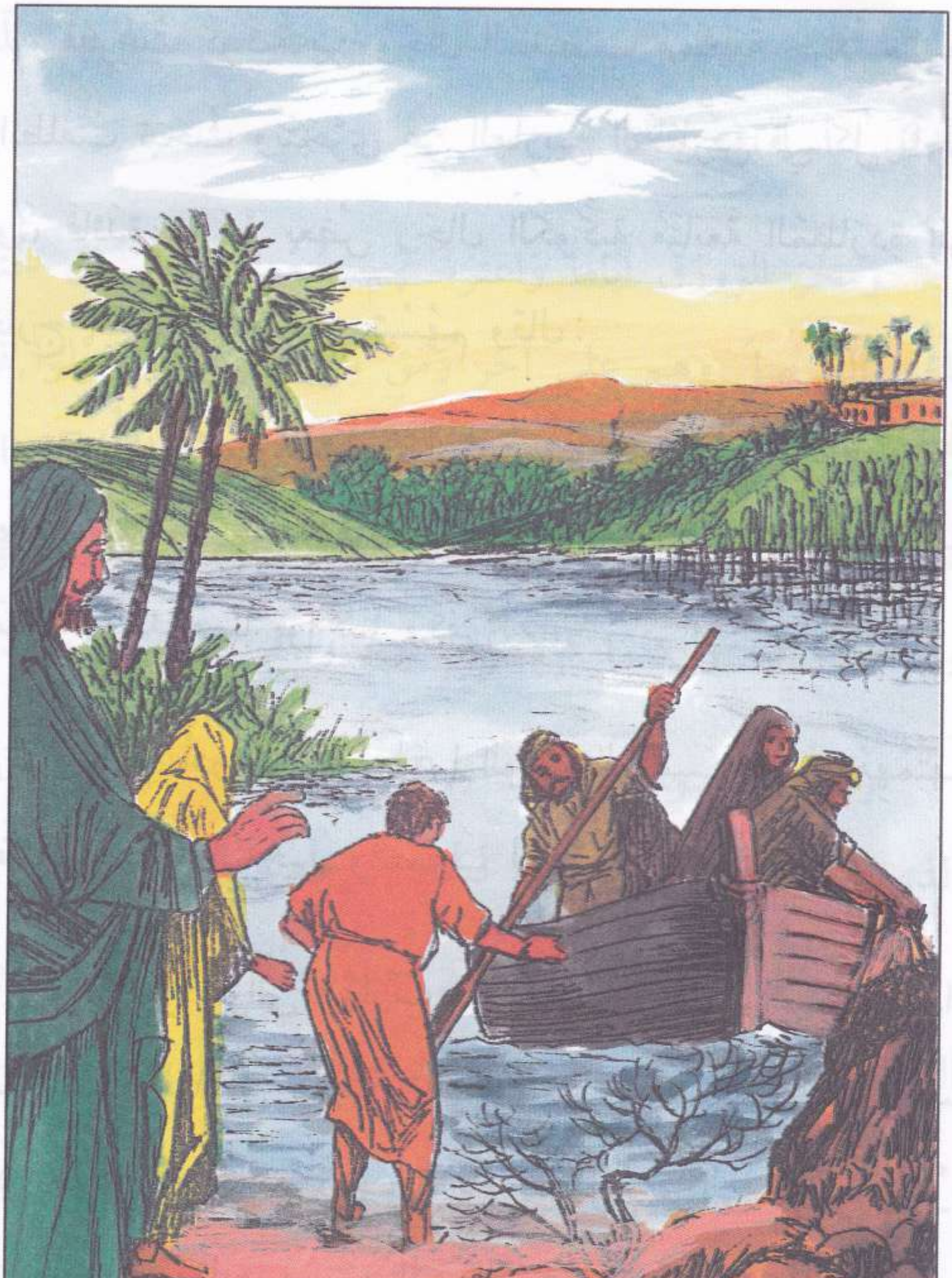
ومِن جِهَةٍ أُخرَى أَرسَل وَفْداً في مَوْكِبٍ مَهيبٍ حَمَّلَهُ هَدَايَاهُ النفيسةَ إلى صَاحِبِ السَطوةِ في بَغدادَ الأميرِ التُركيِّ قائدِ الجيوشِ، وكتاباً يُعْلِنُ فيه وَلاءَهُ لهُ وليسَ للخَليفَة.

تمكّنَ ابنُ الوَالي الشهمُ أن يَنجُو مِنَ الكارثةِ وأن يُنْقِذَ مَعَه أُسْرَتَه ويُلقِي ما استَطَاعَ من مَالٍ ومَتاعٍ في زَورَقٍ، وَجَدَّفَ مُسرِعاً وابتعَدَ عنِ القَصرِ دونَ أن يَفطُنَ به أحَدٌ؛ فقصَدَ على عَجَلٍ أهلَ الأهوَارِ **فاستَجارُوهُ** وآوَوْه وَزَوَّدُوهُ بالماءِ والطَعَامِ وقالَ لهُ أحَدُهُم وهو يُوَدِّعُهُ:

- هَذا بعضُ جَميلِ أبيكَ نَرُدُّه لكَ، فكُلُّ ما أنا فيه مِن نِعَمٍ هو مِن فَضلِهِ وَكَرَمِهِ.

وانطَلقَ الابنُ حَذِراً **يَمْخَرُ** مياهَ الأَهوارِ حتَّى انتهى إلى مِياهِ نهرِ دِجْلَةَ مُخَلِّفاً مَتَاهَاتِ قَنَوَاتِ الأهوَارِ، وقد تَنَكَّرَ هُو وَأهلُه بثِيابِ المُزَارِعينَ تَمْويهاً وسَلَّمُوا أمرَهُم إلى اللهِ ومَضَوْا يَقصِدُون بَغدادَ.

إنتبهَ الأخُ الغَاصِبُ إلى اختفاءِ أُسرَةِ أخيهِ بكَامِلِهَا فخَشيَ أن يَتَسَبَّبُوا له بمَتَاعِبَ هو في غِنىً عنها فأطلقَ في أثَرِهِم زَبَانيَتَهُ لِيَقْبِضُوا عَليهم أو لِيقتُلُوهُم ويتَخَلَّصُوا مِنهم فتَخْفَى حَقيقةُ جَريمتِه ويَطوِيهَا النِسيَانُ.



فَهُرِعَتْ كَوكَبةٌ مِن رِجَالِ المُغتَصِبِ مُمْتَطِيَةً جِياداً سَرِيعَةً وَانطَلَقَتْ تبحَثُ وتَتَحَرَّى عَنِ الهارِبينَ الخَطِرِينَ في كلِّ ناحيةٍ دُونَ فَائِدَةٍ، وهَمَّ بعضُ رِجَالِ **الكَوكَبةِ** مُتَابَعَةَ المُطارَدةِ إلى خَارجِ البَصرَةِ فَنَهَرَهُم رئيسُهُم وقال:

- أَيُّ خَيرٍ يُرْجَى مِن فَردٍ وبَعضِ عِيَالٍ، وأيُّ خَطَرٍ يَتَهدَّدُ أميرَنا إن فَشِلْنَا في إدرَاكِهِم؟ الأمرُ لا يَسْتَأْهِلُ منَّا عناءً إضَافيًّا، لقد قُمنا بِوَاجِبِنَا وَكَفَى.

وعَادُوا أدراجَهم وأعلَمُوا الوالي الغاصِبَ بفَشَلِ مُهِمَّتِهِم فتَظَاهَر بتَفَاهَةِ النَاجِينَ وانصَرَفَ لِتَحقِيقِ غَايَاتِه.

وأمّا ابنُ الوَالي الهاربُ فقد تَرَدَّدَ في أن يَنزِلَ في بَغدادَ وقَد كانتِ القلاقِلُ والفِتَنُ تَعْصِفُ بها، فلم يَأْمَنْ على نَفسهِ ولا على أَهلِه مِن صُرُوفِ الأيَّامِ فَتسلَّلَ هو إلى بَغدادَ وتزوَّدَ بماءٍ وَطَعَامٍ وتَابَع مَسِيرَه إلى المُوصِلِ وقالَ لأَهلِهِ:

- إنَّ أبي كانَ على عَلائِقَ نَبيلةٍ مع الحَمْدَانِيِّينَ، سادةِ

قبائلِ تغلبَ؛ فإنْ حَالَفَنِي الحظُّ وَصِرْتُ في دِيَارِهم فَلَنْ نَخْشَى بأساً بعدَ ذلك.

ومَخَرَ الزورَقُ أيَّاماً وَاعتَرَضَتْهُم صُعُوباتٌ وَمَشَاقٌّ حتَّى بَلَغُوا الموصِلَ وهم على آخرِ رَمَقٍ مِنَ الحَيَاةِ، فَتَجَوَّلوا في شَوَارِعِها وَأَزِقَّتِها يَبْحَثُون عن خَانٍ يباتُونَ فيه حتَّى يُفرجَ اللهُ عن كَرْبِهم، فَدَلَّهُم فَتىً إلى أَحَدِها فَدَخَلُوه وأَلقَوا بِتَعبِهم وأحمَالِهم فِيه وَارتَمَوْا كالأمَوَاتِ وَغَطُّوا في سُباتٍ عَمِيقٍ.

ومَرَّتِ السُنونُ وحَطَّتِ حَالُ ابنِ الوَالي الهاربِ ونَفَدَ الذي استَخْلَصَهُ أثناءَ هُرُوبِه فَمَالَ إلى أَهلِهِ وقالَ لهُم:

- اثْبتُوا، فَلَسَوْفَ أَلْتَمِسُ حِيلةً وأفوزُ بِمَا يُنْقِذُنا مِنَ البُؤْسِ الذِي صِرْنَا فِيهِ.

وخَرَجَ لا يَلوِي عَلى شَيءٍ ورَاحَ يَجُولُ في المَدِينةِ وَأسواقِها بَحْثاً عَمَّا يُفيدُه في مِحْنَتِه. وبينَما هو حَائرٌ شَارِدُ الذِّهْنِ بَلغَ مَسامِعَه حَديثٌ يَدُور بينَ اثنينِ عَنِ الأميرِ سَيفِ

الدَولةِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ. ففكَّرَ هُنَيهةً ثمَّ سَألَ أحدَهُما عن قَصرِ الأميرِ فَدَلُّوه إليه فقَصَدَهُ وأَعلَمَ حُرَّاسَه بأنَّه يُرِيدُ مُقَابَلَةَ الأميرِ لِصَدَاقةٍ قَدِيمةٍ بينَهما...

وبعدَ لحَظَاتٍ أُذِنَ له بالمُثُولِ بينَ يَدَي الأميرِ. وعندَما صَارَ بينَ يَديْهِ نَهَضَ الأميرُ مِن مَجلِسِه مُرَحِّباً بِهِ وَأَجْلَسَهُ إلى جَانِبِه وقالَ له:

- ما الَّذي ذَكَّرَكَ بنا، فقَد كانَ بينَ أُسرَتِنا تَوَاصُلٌ وَمَوَدَّة.

فاستبقاهُ الأميرُ حَتَّى انفَضَّ مَجلِسُهُ ثمَّ أمرَ بمَائِدَةٍ وقال:

- الليلةَ أنتَ ضَيفي، فإذَا كانَ مَنْ يحتاجُ عَودَتَك فأنا أَقضِيها بَدَلاً عنك.

فَرَدَّ الشابُّ عَلى استِحْياءٍ وقالَ:

- أُسرَتي في الخانِ الفُلانيِّ، وقَد صِرْنا على آخِرِ رَمَقٍ.

فأمرَ الأميرُ رَجُلاً وهَمَسَ في أُذنِه كَلاماً ثم ابتسَمَ وقالَ:

- أَبْشِرْ، فكَمَا كانَ قَتْلُ أبيك أبْرَكَ الأشياءِ عَلَيَّ فلسَوفَ يكونُ حُضُورُك أبْرَكَ الأشياءِ عليك.

فقال الشابّ:

- وكيف ذاكَ، أطالَ الله بقاءَ مولانا؟

قالَ سَيفُ الدَولةِ ولم يَكُنْ في مجلسِه سِوَى بعضِ خاصَّتِه وَأهلِ ثِقَتِهِ إضَافةً إلى الشَاب:

- لَمَّا رَجَعنا من بَغدادَ منذُ سَنواتٍ خَلَتْ، اقتصَرَ بي أخي ناصِرُ الدَولةِ على نصيبين فكُنتُ مُقيماً فيها، ولم يَكُنْ خَراجُها يَكفِيني، فكُنتُ أدفعُ الأيَّامَ وأَصبِرُ على مَضَضِ الضَائِقَةِ مُدَّةً غيرَ يَسيرَةٍ.

ثمَ بلغَتْني أخبارُ الشَامِ، وَخُلُوُّها إلاّ مِن يأنس المؤنِسِي غلامِ قائدِ جُندٍ تركيٍّ انْتَدَبَهُ الإخشِيدُ لحِفْظِ البلادِ الشاميَّةِ. وكونُ ابنِ طغجَ بمصرَ بعيداً عنها ورَغبتُهُ بأن يجعلَ «يانساً»

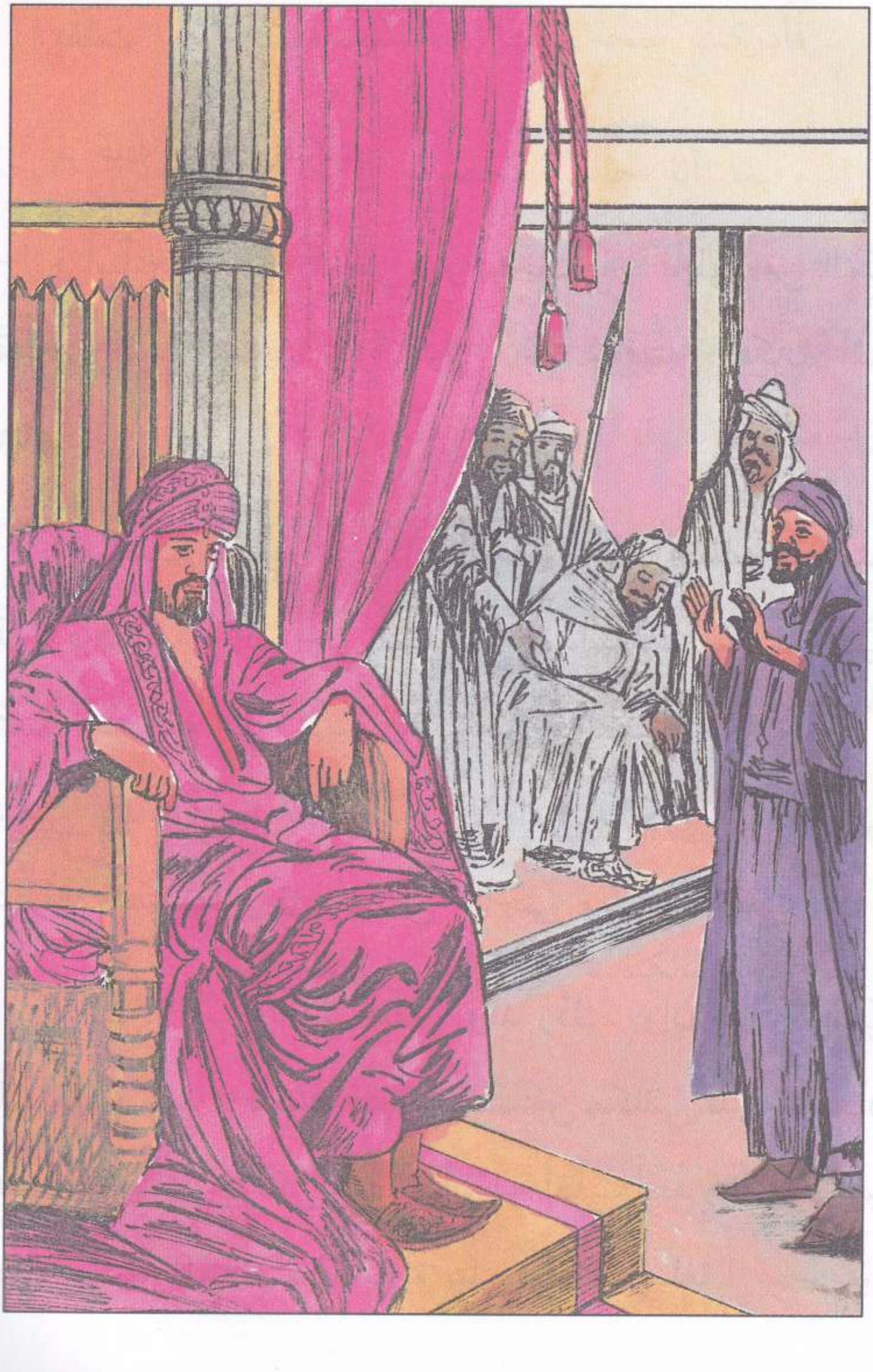
حاكماً عليها ويحملَ إليه الشيءَ اليسيرَ مِن خَراجِها؛ ممَّا يَفضَحُ ضَعفَ الإخشِيدِ. ففكرتُ في جَمْعِ جَيشٍ، وقَصْدِها وأخْذِها وطَرْدِ «يأنس» والتصدِّي لابن طغج. فإنْ قَدَرتُ على ذلك أكونُ قد وَفَّرتُ **بالجبايةِ** ما يُهَوِّنُ ضَائِقَتي مدّةً. ولكنْ وَجَدْتُ أنَّ جَمْعَ الجيشِ لا يُمكِنُ إلاّ بالمالِ، وليسَ عندِي مَالٌ.

فقلتُ: «أَقصِدُ أخي وَأسأَلُه أنْ يُعاوِنني بألفِ رَجُلٍ من جَيشِه يَصرِفُ هو بَدَلاتِهم وَيُعطِيني شَيئاً من المال، وَأَخْرُجُ بهم، فيكونُ عَمَلي كَسْباً في عَملِه وعِزِّه».

وَأَردَفَ سيفُ الدولةِ بعدَ أن تناولَ مرَطَّباً وشرِبَ، وقال:

- وكانَتْ تأخُذُني حُمّى كلَّ أربعةِ أيامٍ فَرُحْتُ إلى الموصِلِ على ما بي، ودَخَلتُ على أخِي وسلَّمتُ عليه.

فقال: ما أقْدَمَكَ؟



فقلت: أَمْرٌ أذكُرُه بعدُ.

فرَحَّبَ بي، وَافتَرَقْنا.

فراسَلْتُه في هذا المَعنى، وشَرحتُ له، فأَظهرَ من المَنْعِ القَبيحِ والرَدَّ الشَدِيدِ غيرَ قَليل. ثمَّ شافَهْتُه، فكانَ أشدَّ امتِناعاً.

واستَعَنْتُ بجميعِ مَنْ كان **يتجاسرُ** على خِطابِه في مثلِ هذا، فرَدَّهم. وكانَ أخِي لَجُوجاً وعنيداً، فإذا مَنَعَ مرَّة شيئاً يُلتَمسُ منه أَقام على المَنْعِ. ولم يبقَ في نَفسِي مَنْ يَجُوزُ أن أستعينَ به، وأُقدِّرُ أنه يُجيبُهُ، إلاَّ امرَأَتُهُ الكُردِيَّةُ وَالِدةُ أبي تغلبَ؛ فقَصَدْتُها وخَاطبتُها في حَاجَتي وسَألتُها مسألتَه.

فقالتْ: «أنتَ تعلمُ خُلُقَهُ، وقد ردَّكَ. وإن سألتُه عُقيبَ ذلك رَدَّني أيضاً. فأكونُ قد انتقَصْتُ مِن مكانتي لَدَيْهِ دونَ أن تُقضَى حَاجتُك. ولكنِ انتظِره أيّاماً، لعلِّي أَجِدُ خِلالَها سبباً أجْعَلُه طريقاً للكلامِ والمشورةِ عليهِ والمسألةِ له».

فَأَدرَكتُ صحةَ قولِها. فانتظَرْتُ.

وفيما أنا جالسٌ بحَضرَتِهِ يوماً إذ جَاءَ برَّاجُ الحَمَامِ الزاجلِ بكتابِ طَائرٍ عَرَّفه عَلى خَبَرٍ خَطِير. فلما قَرَأه، اسوَدَّ وجهُهُ، واسترجَعَ وأَظهرَ قَلَقاً وغَمّاً وقال: «إنّا لله وإنّا إليه رَاجُعُونَ. يا قَومُ! **المُتَعَجْرِفُ** الأحمَقُ، الجَاهِلُ، المُبَذِّرُ السَخِيفُ الرَأْيِ، الرَدِيءُ التَدبيرِ، الفَقيرُ، القليلُ الجَيشِ، يقتُلُ الحازِمَ المرتفقَ، العَاقلَ، الوَثيقَ الرأيِ، الضَابطَ، الجَيِّدَ التَدبيرِ، الغنيَّ، الكثيرَ الجيشِ؟ إنَّ هَذا لأمرٌ عَجيب!».

فانَتَهَزْتُ الفُرصَةَ وقُلتُ له: ـ يا سَيِّدي ما الخَبَرُ؟

فَرَمَى بالكتابِ إليِّ وقال: ـ قِفْ عليه.

فإذا هُو كتابُ خَليفَتِهِ ببَغدَادَ، بتاريخِ يَومِهِ يقولُ: «في هذهِ السَاعةِ وَصَلَتْنِي أخبارٌ مُؤَكَّدَةٌ عَن مقتلِ الوالي فُلان على يَدِ أخيهِ الغَاشمِ فلان واستيلائِه على البَصرَةِ».

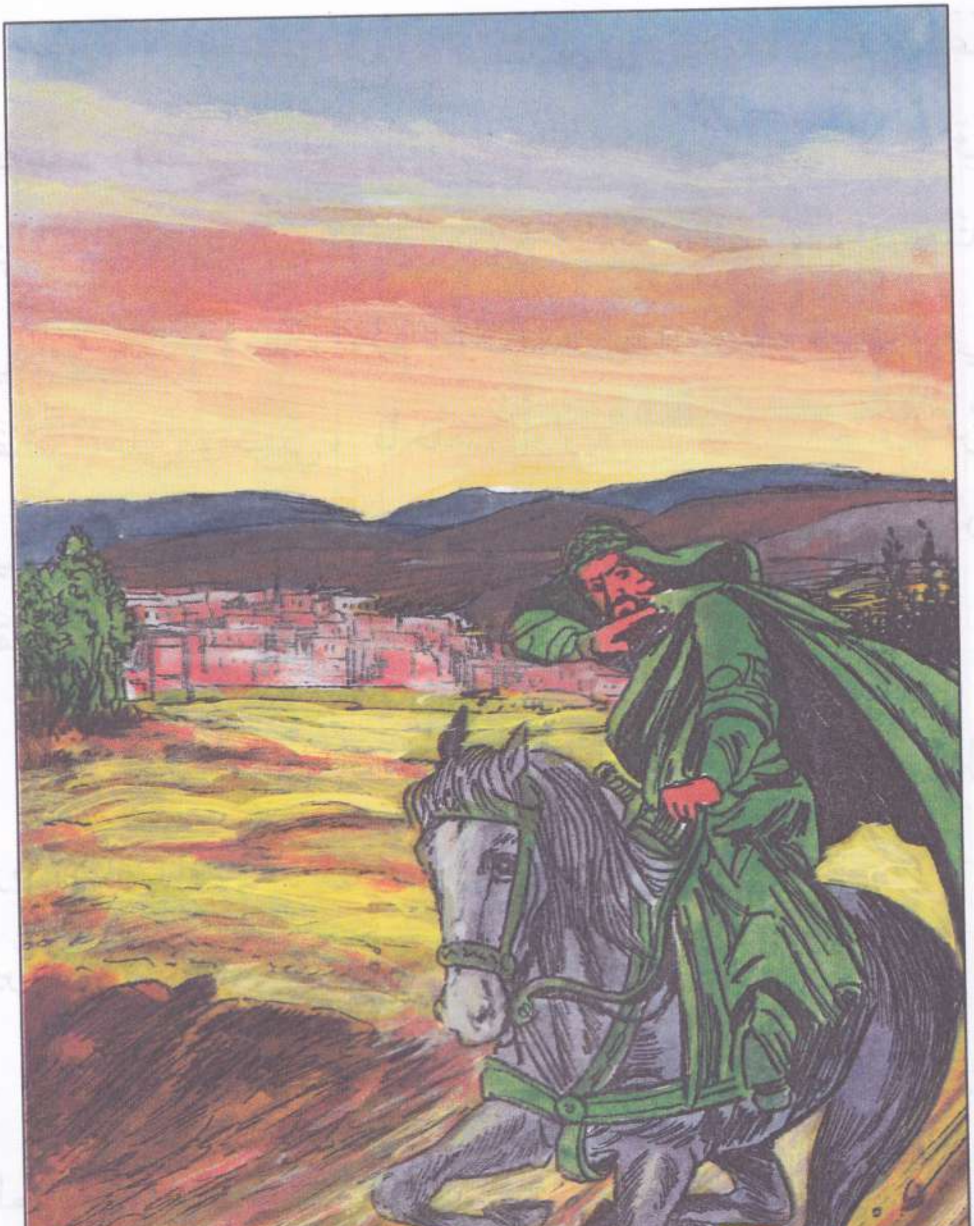


فلما قرأتُ ذلكَ مَع ما سَمِعتُه من كلامِه، مُتُّ جَزَعاً وَفَزَعاً، ولم أشكَّ أنَّه يَعتَقِدُني كالأخِ الجَاحِدِ في الأَخلاقِ التي وَصَفَهُ بها، ويَعتقدُ في نَفسِه كالوالي القَتيل، وقد جِئْتُه في أمرِ جَيشٍ وَمَالٍ، ولم أشكَّ أنَّ ذلك سَيُوَلِّدُ له أَمراً في القَبضِ عَليَّ وحَبسي، فَأَخَذْتُ **أُوارِيه**، وأُسكِّن منه وأطْعَنُ في صَاحِبِ الشُّرطَةِ **الجَاحِدِ** وأَزيدُ في الاستقباحِ لِفِعْلِهِ إلى أنِ انقَطعَ الكَلاَم.

ثم أَظهَرْتُ له، أنه قد ظَهَرَتِ الحُمَّى التي تُراوِدُني كلَّ أربعَةِ أيَّامٍ وأنه وَقتُها وقد جاءَتْ. فقمتُ فقال: ـ يا غلمان، بينَ يَدَيْه.

فَرَكِبتُ دَابَّتي، وجَرَيْتُ إلى مُعَسْكَرِي، وقَد كُنتُ منذُ أَتيتُ الموصلَ، وعَسكَرِي مُقيمٌ في ظاهرِ البَلَد، وَلم أَنْزِلْ دَاراً.

وَحينَ دَخلتُ إلى مُعَسْكَري، وكانَ بالدَيرِ الأعلَى، وفي أعلَى المُوصِلِ على جَبَلٍ مُطِلٍّ على دِجلَةَ. وقدِ اختَرْتُ



المكانَ لأنَّ فيه عُيُوناً كَبريتيَّةً تَشفِي من أَمراضِ الجِلْدِ، فضلاً على موقِعِه الحَسَنِ، فَلم أتَرَجَّلْ وقلتُ لِغِلمَاني: «ارحَلُوا الساعةَ، الساعةَ، ولا تَضرِبُوا بُوقاً وَاتبَعُوني».

وَتَحَرَّكتُ وَحْدِي، فَلَحِقَني نَفَرٌ مِن غِلماني، وكنتُ أركُضُ على وَجهي خَوفاً مِن مُبَادَرَة أخِي ناصِرِ الدَوْلَةِ إليَّ بمَكرُوهٍ. فما عَقَلْتُ حتَّى وَصَلْتُ إلى «بلد» في نَفَرٍ قليلٍ من أهلِ مُعَسْكَرِي وتَبِعَني البَاقُون.

فَحِينَ وَرَدُوا جَميعاً، نهضتُ للرَحِيل، ولم أَدَعْهُم يَرتَاحُون، وَسِرْنا.

فلمَّا صِرنا بَعيدِينَ بَعضَ الشَيءِ عن «بلد» إذا بأَعلامِ وَجَيشٍ لاحِقِينَ بِنا، فَلم أشكَّ أنَّ أخِي أَنفَذَهُم للقَبضِ عليّ.

فَقُلتُ لِمَنْ مَعي: تأهَّبُوا للحَرْب، ولا تَبْدأُوا، وحُثُّوا السَّيْرَ.

فإذا بأَعَرابيٍّ يَركُضُ وَحدَهُ حتَّى لحِقَ بي وقالَ: ـ أيُّها الأميرُ! ما هَذا السَيرُ **المُحِثُّ**؟ خادِمُك «دنا» قد وَافَى بِرِسَالةِ الأميرِ ناصِرِ الدَولةِ ويَسألُك أن تَتَوَقَّفَ عَليه حتَّى يلحَقَك.

فلمَّا ذَكَر «دَنَا»، قُلتُ في نفسي: «لو كانَ شرّاً، ما وَرَدَ دَنَا فيه». فنَزلتُ وقد كانَ السيرُ **انْهَكَني** والحُمَّى قَد أَخَذَتْني، فطرَحْتُ نَفسِي لِما بي مِن تَعَبٍ عَلى الفِرَاش.

فقال دَنَا: ـ إعْلَمْ أن الذي ظَنَنْتَهُ انقَلَبَ، وقَد تمكَّنَتْ لكَ في نفسِه هَيبةٌ بما جَرَى، وبَعَثَني إليكَ بِرسَالةٍ يَقُول لكَ: «إنّك قد كُنتَ جِئْتَني تَلتمِسُ كَيت وكَيت، فصَادَفْتَ مِنِّي ضَجَراً، وأَجبتُك بالرَدِّ، ثمَّ عَلِمْتُ أنَّ الصَوابَ معكَ، فكنتُ مُنتظِراً أن تُعاوِدَني في المَسألة فأُجيبُك، فخَرَجتَ من غيرِ مُعَاوَدَةٍ ولا توديع، وقَد حدَّثَتني أُمُّ تَغلبَ في وَقتٍ ذَكَرتُك بالحُسْنى أمامَها، فأدرَكْتُ قَسوتي، فإن شِئتَ فأقِمْ بسنجارَ أو



في حَاضِرَتِك نصيبين، فإني مُنْفِذٌ إليكَ ما التَمَسْتَ مِنَ المَالِ والرِجَال، لِتَسيرَ إلى الشامِ وعَلَى بركةِ الله».

فقلتُ لدنا: تشكرُهُ وَتُجزِيهِ الخيرَ وتَقولُ كَذا وكَذا، أشياءَ وافَقْتُه عَليها وَأَنهَيْتُ حَدِيثي بالقَول: «وتقولُ له: إِني خَرجتُ مِن غيرِ وَداعٍ لِخبرٍ بَلَغَني في الحَالِ من طُرُوقِ الأعرابِ لِعَمَلي، فركِبْتُ لأَلحَقَهم وتَركتُ مُعاوَدَةَ المسأَلةِ تخفيفاً».

فإذا كانَ قد رأى هذا، فأنا سَيفُه، وإن تمَّ ليَ شيءٌ منه فهوَ له. وأنا مُقيمٌ بنصيبين لأَنتظرَ وَعدَه.

ورجَع دَنا وسِرُتُ، فمَا كَان إلا أَيَّامٌ يَسِيرةٌ حتَّى جاءَني دَنَا ومعَهُ ألفُ رَجُلٍ، وقَد أُزيحَتْ عِلَلُهُم وَأُعْطوا أَرزاقَهم ونَفَقَاتِهم فَاستَعْرَضْتُ دَوابَّهِم وَبِغَالَهُم فَكَانتْ عَلى أحسَنِ صُورةٍ وسَلَّمني دَنَا خَمسينَ ألفَ دينار.

وقال لي دَنَا: هَؤلاءِ الرِجَالُ، وهذا المَالُ، فاستَخِرِ الله وسِرْ على بَرَكتِه. فَسِرتُ إلى حَلَب ومَلَكْتُها، وكانَتْ وَقَائِعي مَعَ الإخشِيديَّةِ بعدَ ذلك وهي مَعروفةٌ. ولم تَزلْ بَيني وبَينهم الحربُ سِجَالاً إلى أنِ استقرَّتِ الحالُ بيننا عَلى أن أفرَجُوا لي عَن هَذه الأعمَالِ، وأَفرجْتُ أنا لهم عَن دِمشقَ وما وَرَاءَها، وأَمِنْتَ نَاصِرَ الدَولةِ، وَاستغنيتُ عنه.

وكلُّ ذلك، سَبَبُهُ قَتْلُ **الغَاشمِ** لأبيكَ النبيل.

فَتعجَّبَ الحَاضِرُونَ من صُرُوفِ الدَهرِ فَالتَفَتَ الأميرُ إلى ضَيفِه وقال: لقد قُضِيَتَ حَاجَتَكَ، فقد نُقِلَ أَهلُكَ إلى دَارٍ رَحْبَةٍ مُلِئَتْ بالأثاثِ والرِيَاشِ، وبمَا تَستَعِينُون به عَلى الحَياة، فَقُمْ عَلَى عَجَلٍ وَامْضِ إليهم، فَهُمْ في شَوقٍ إليكَ أكثرَ منا. ثم ابتسَمَ الأمير مَازِحاً وقال:

- لقد قَاسَيتُ أكثَرَ منك وكنتُ أوْفَرَ منكَ حَظاً. فَاتَّعِظْ مِن دُنياكَ فهي غَادِرةٌ فلا تغمضُ لها جَفن...

فودّعَ الشابُ الأميرَ وقبَّلَ رَاحَتَيْهِ وقَدِ اغرَوْرَقَتْ عَيناهُ بالدُمُوعِ ودَعَا له خيرَ دُعاءٍ، وَخَرَجَ إلى أهلِه وهُو في غايةٍ من الانشراح. وقبلَ أن يُغادرَ مدَخلَ القصرِ لحِقَ به رهطٌ من الخَدَمِ والغِلمَانِ يجرُّون دَوابّاً كُثراً! وكانَتْ تلكَ عَطِيّةَ الأميرِ سَيفِ الدولةِ له تكريماً لوالدِه النبيل...

وعاشَ مع أهلِه في نَعيمٍ وسَعَادةٍ باقي العُمرِ...

قاموس الحكاية

يفقهون: يفهمون.

اصطفى: اختار.

غاشماً: ظالماً.

أطلقَ يدَهم: أعطاهم ملء الحرية.

وازع: رادع، مانع.

خليع: ماجن، فاسد.

اصطناع الأزلام: الإتيان بهم.

التافهة: السخيفة.

دساكرها: قراها المحيطة بها.

علوج: ج عِلج: الرجل الضخم. ويطلق هذا اللقب على كل كفار العجم والروم والترك.

زبانيته: أنصاره التابعون له.

استجاروه: بمعنى ساعدوه على الاختفاء عن أعين مطارديه.

يمخر: يقطع.

هُرِعَتْ: أسرعَتْ.

الكوكبة: الجماعة، الفريق.

كربهم: ألمهم، مصيبتهم.

الجباية: جَمْعُ الضريبة.

يتجاسر: يجرؤ.

المتعجرف: المتكبِّر.

الجاحد: الناكر للجميل والمعروف.

أخذت أُواريه: أُحادثه بما يلائمه ويناسبه.

أنهكني: أتعبني، أضناني.

السيرُ المحِثُّ: السيرُ العَجِلُ.

أسئلة

١ - في فَهْم الحكاية

١ - صف بايجاز أخلاق الوالي؟

....

....

٢ - صف بايجاز أخلاق صاحبِ الشرطة؟

....

....

٣ - كيف برأيك يبرز فسادُ الحكم عصر ذاك؟

....

....

٤ - إن الجشع يقتل في الإنسان كل عاطفة. ما دليلُك على ذلك؟

....

....

٥ - كيف استطاع ابن الوالي أن ينجو من الكارثة؟

....

....

٦ - لماذا كان سيف الدولة يريد الاستقلال بالشام والتصدّي لابن طغج ويأنس المؤنسي؟

....

....

....

٧ - لماذا عاد ناصر الدولة وأعطى أخاه سيف الدولة ما يشاء من جيش ومال؟

....

....

٨ - لماذا كانوا يستعملون الحمام الزاجل في عصر هذه الحكاية؟

....

....

٩ - ما هي العبرة التي تستنتجها من هذه الحكاية؟

....

....

٢ - في اللغة والتعبير

١ - أعطِ معاني المفردات التالية:

عاقبة الأمرِ: .... الطُرَف: ....

منَّ عليه: .... أمعن في: ....

الجور: .... اكتنز مالاً: ....

دمية: .... موكب مهيب: ....

مخلِّفاً: .... صروف: ....

٢ - ابرز من القصة صفاتاً ونعوتاً ومفردات تتناول كل من السيرة الحسنة، والسيرة القبيحة اللتين يمثلهما الأخوان؟

- الصفات الحسنة: ....

....

....

- الصفات القبيحة: ....

....

....

٣ - ورد خلال سياق الحكاية كثير من التعابير البليغة. خذ كل تعبير من التعابير التالية وضعه في جملته المناسبة؟

- عاقبة الأمر: ....

- تمكّن من قلوبهم: ....

- لا يفقه من أمور الدنيا شيئاً: ....

- أطلق يدهم في المدينة: ....

- اكتنز مالاً وفيراً: ....

- إنه دمية في أيدي الحريم: ....

- تخفى حقيقته ويطويها النسيان: ....

- كانت القلاقل تعصف بها: ....

- خرج لا يلوي على شيء: ....

- صرنا على آخر رَمَقٍ: ....

- كنتُ أدفع الأيام: ....

٣ - في القواعد

١ - في المقطع الأول من الصفحة ٧، وَرَدَ فعل ناقص. دُلَّ عليه ذاكراً اسمه وخبره؟

....

٢ - ابرز الضمائر من المقطع الثاني من الصفحة نفسها، ذاكراً محلّها من الاعراب؟

....

....

....

٣ - أعرب ما يلي: هذا بعضُ جميلِ أبيكَ نرُدُّه لكَ. كلُّ ما أنا فيه عائدٌ إلى فضلِهِ.

سِلسِلة
حِكايات
السَّمَر

تَغُوصُ في التَّاريخِ، تُحيي شَخصيَّاتِهِ، في سِيَاقٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِعٍ رَاعَيْنا فيه قُدرَةَ الوَلَدِ على الاستِيعَابِ، لُغةً ومعلوماتٍ، لإيصاله إلى استِنتاجِ العِبَرِ التي يتحرَّكُ الأشخاصُ بوَحْيِها. وقد رَبَطْنَا كلَّ قِصَّة بواقِعِ التحصيل المدرسيِّ فأَلْحَقْنَا بها قاموساً للمفرداتِ وأسئلةً متنوِّعةً تحرِّك الذهنَ، وتدفعُ الولدَ إلى التفتيش والتقصِّي.

تتضمّن هذه السلسلةُ العناوينَ الآتية:

١ - شنُوحي المغامر
٢ - صَولجانُ فرعون
٣ - بَلاغةُ فلَّاح
٤ - التاجرُ الجاسوسُ
٥ - عنفوانُ المروءة
٦ - القائدُ المؤمنُ
٧ - الشقيقُ الماكرُ
٨ - اللّصُّ والعجوزُ
٩ - عاقبةُ الظالم
١٠ - سلطانُ الصبر
١١ - طيشُ المترَفين
١٢ - اللّصُّ الظريفُ ذُكين
١٣ - الوفاءُ كنزُ الصداقة
١٤ - جاحِدُ النعمةِ
١٥ - العُودُ الهنديُّ
١٦ - جاسُوسُ الخليفة
١٧ - الأميرُ وابنُ النبيل
١٨ - العيَّار والمُغَفَّلون
١٩ - صُذْرَةُ الملوك
٢٠ - غرائبُ الصُّدَفِ